

المقالة الثامنة والعشرون^١

في فريضة البتولية والزيجة وفي المحبة

أسمع الرسول قائلاً : أريد أن كافة الناس يكونون مثلي لكن كل أحد له موهبة من الله واحد هكذا وآخر هكذا . فمن الواضح أنه يعني أهل العالم والزهاد في العالم فجعل بينهم فرقاً فاصلاً قائلاً : لكل واحد موهبة من الله واحد هكذا وآخر هكذا ، فلم يمنع العلمانيين أن يتزوجوا بالسنة ، ولم يقطع الزهاد في العالم عن النسك إذ قال : كل واحد له موهبة من الله . لأنه يأمر أهل العالم قائلاً : من أجل الزنا فليخذ كل واحد امرأته . وأيضاً الزوج كريم علي سائر الأحوال والمضاجعة غير دنسة ، فالزناة والفسقة الله يدينهم ، والزهاد في العالم أفترض لهم النسك والحمية قائلاً : كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء . فقد نصب جهادين فأنت في أي موكب ترتبت وما هي العلامة التي تلبسها ، وما هي المواثيق والعهود التي عاهدت الله بها فإنك ستعطي عنها الجواب ، لأن الرب يقول : أيها العبد الخبيث من فمك أدينك .

وكما تقدمنا فقلنا أنه قد أمر أهل العالم أن يتزوجوا بمقتضى الشريعة وفرض علي الزهاد في العالم أن ينسكوا ، وإلا فلو كان بقوله أن التزوج أفضل من التحرق أمر الكل لما كان أحد يقوم هذه الفضيلة ولا إيليا التسببتي ولا إليشع ولا يوحنا ، وجماعة الذين أخصوا ذاتهم من أجل ملكوت السموات ، والرسول لو لم ينظر عطية الجزاء لما قمع نفسه .

فلا ترتأي أن تقول كما يحتج قوم أن أولئك كانوا قديسين وأنا خاطئ ، لأنهم إنما صاروا قديسين كونهم سلكوا بسيرتهم بعدل وبر ، فماذا تقول أن الصديقين كانوا بلا أجساد . أليس كانوا في أجساد ؟ أسمع الرسول قائلاً : إن كنا نسير بالجسد فلسنا حسب الجسد نحارب لأن أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قدرة بالله علي هدم حصون فمن الواضح أن أولئك قد قوتلوا بما أنهم كانوا لابسي جسد وجاهدوا ، فلذلك يقول : أقمع جسدي وأستعبده حتى لا أكون أكرز لآخرين وأكون أنا منفيماً . ثم يقتادنا إلي الفضيلة بقوله : صيروا متشبهين بي كما تشبهت أنا بالمسيح . فلننصت نحن يا أخوتي لنللا باختيارنا نكمل شهوتنا ونجعل الوصية الرسولية غير عارفين قوة معناها .

ماذا تقول أيها الأخ قد سمعت أن التزوج خير من التلهب ولم تسمع ما يتلوه قائلاً : أما بعد فإن الزمان قصير كي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم ، والباكون كأنهم لا يكون ، والمسرورون كأنهم لا يسرون ، والذين يبتاعون كأنهم لا يملكون ، والذين يستعملون العالم كأنهم لا يستعملونه لأنه سيعبر شكل العالم .

فلذلك أيها الأخ لا تغدر بمن أعطاك هذه النعمة ولا تخالفة قائلاً لك بالرسول : لا تتواني بالموهبة التي فيك التي أعطيتها بنبوّة بوضع أيدي ذوي الرتبة القسيسية لكي لا تجعل ذاتك عاصياً مخالفاً فتبني أيضاً الآلام التي نقضتها لكن أوف للرب نزورك لأنه قد كتب الأصلح ألا تنذر أوفق من أن تنذر ولا تقضي ، أجتهد أن تكمل سعيك بموجب الشريعة لتكون لك دالة وتقول مع الرسول قد جاهدت الجهاد الحسن قد أكملت السعي قد حفظت الإيمان وأعد لي منذ الآن إكليل العدل وليس لي وحدي بل ولجماعة الذين أحبوا ظهوراً له المجد .

^١ كتاب: مقالات مار إفرآم ملفان الكنائس السورية ومعلم الأرثوذكسيين أجمع وقف على طبعه أحد رهبان دير السيدة العذراء البراموس في برية الأنبا مقاريوس طبع سنة ١٨٩٢

أيها الحبيب إن أهلت للعلم والإفراز ولموهبة الأشفية فأحذر أن تثق بالموهبة فتبقى غير مثمر ، لئلا تقول حينئذ ارحمني فتسمع مع ذوي اليسار لست أعرفكم ، لأنه كتب ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل من يعمل مشيئة أبي الذي في السموات فإن كثيرين يقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أسنا باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة وحينئذ اعترف لهم أنني لست أعرفكم قط انصرفوا عني يا صانعي الإثم ، لماذا ؟ لأنهم لم يحفظوا المحبة كما كتب ، إن من لا يحب أخاه الذي يبصره فكيف يستطيع أن يحب الله الذي لا يبصره ، والرسول يقول : وأريكم أيضاً طريقاً آخر أفضل جداً إن كنتُ أتكلم باللسن الناس والملائكة وليست في محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن ، فإن حويت النبوة وعرفت الأسرار كلها وكافة العلم وإن كان لي إيمان حتى أنقل الجبال من أماكنها ولا تكون لي محبة فلست شيئاً ، وإن أطعمت كافة ما أملكه وإن دفعت جسمي لأحرق ولا تكون لي محبة فلست أنتفع شيئاً ، المحبة لا تحسد ، تغار ولا تتفاخر ، ولا تنتشامخ ، ولا تبتغي حقوقها ، ولا تغتاظ ، ولا تفكر سوءاً ، ولا تسر بالظلم ، تفرح بالحق ، تحتل كل شيء ، تؤمل كل شيء ، تصبر علي كل شيء ، المحبة لا تسقط ألبتة . فها قد سمعت أيها الحبيب قوة المحبة فأقتنيها في كل عمالك فتحضن المديح من الله .

فأطلب إليكم يا أحبائي وأخوتي أن تذكروني أنا العبد البطل في صلواتكم المستجابة لئلا تصير أقوالي باطلة ولا تسبقني قدام القاضي في يوم ربنا يسوع المسيح لأنني لا أعرف في ذاتي شيئاً سوى انتظار دينونة وغيره نار تأكل المقاومين لكن ليعطيني الرب وإياكم أن ندخل إلي ملكه برأفاته ويمنح محبته لقلوبنا كلنا . لأن له المجد مع أبيه الصالح والروح القدس الآن وكل أوان وإلى أبد الأبدين . آمين .